ورقة الأمر الواقع التي يجب أن نلعبها

الشّيء الوحيد الثابت في السّياسة هي أنّها متحركة وغير ثابتـــة.. وفي السياسة تأخذ الكلمات والألفاظ بين أصابع المنظرين واللاعبين على الميدان أشكالاً عدةّ يتطلّبها الظرف أو المرحلة..

وكلمة «السّامية» كان لها أن لا تخرج عن اللعبة، ولا أن تشـــذّ عـــن القانون..

واليوم هل يجب علينا أن ننظر إلى الواقع أم إلى الأطلال؟!!

هل نتعامل مع «السامية» مثلما هي في الواقع ورقة في صراع مرير؟ أم نتعامل معها كلمة دالة على نسبة إلى لغة ما، اجتمع عليها العرب وغيرهـــم ذات يوم من الأيام الغابرة.؟!!

كل شيء يتغيّر لحساب الواقع السياسي والهوس الاقتصـــادي.. كـــل شيء يتغيّر لصالح المصلحة والهيمنة..

وروسيا مازالت تتحدّث أمام واقع مشروع الدّرع الصاروخي المضـــاد للدّبابات الذي خصّصت له أمريكا ٦٠ مليار دولار عن معاهدة ١٩٧٢م.

أمّا الأوروبيون فإنّهم مازالوا يتحدّثون عن بروتوكول كـــايوتو أمـــام الهجمة الاقتصادية الأمريكية التي لا تعرف سوى «المصلحة»..

وأمام المصلحة لا يصمد لا الماثور اللغوي ومدلولاته، ولا المعاهـــدات الموقّعة..

الخريطة ذاتها تغيّرت..

الخريطة اليوم ليست خريطة جغرافية بقدر ما هي خريطة نفوذ وللقوى العظمى في كل منطقة نفوذها.. لذلك كان على النظام العراقي أن يفهم ما هو هذا البلد الصغير المتاخم له، والذي يفكّر في غزوه أو ضمّه.. كان عليه أن ينظر إلى خريطة النفوذ، لا إلى الخريطة الجغرافية..

فالآن انتهى عصر الخرائط القديمة، وصارت القوى العظمى بمصـــالحها وجيوشها وحضورها في كلّ مكان تنظم اللعبة وتشرف عليها..

اليوم أيضاً مضى وقت كلمة السّاميّة ذات المدلولات القديمة الرّاجعـــة إلى اللغة، وجاء وقت السّياسة، لذلك لن تدّخر إسرائيل حقّاً ولا بـــاطلاً في محاولة إلزامنا بالتّسليم في حقوقنا..

لذلك لا يجب أن نهتمّ كثيراً بآلة الحرب الموجهة ضدّنا سواء كانـــت مصطلح اللاسامية أو طائرات الـــ (ف ـ ١٦) الأمريكيـــة أو صـــواريخ بالستية من عائلة «أريحا ـ ٣»..

علينا فقط أن نعلم أنّ إسرائيل لن توقف الحرب، لذلك لا داعـــي لأن نقنعها بما نحن متأكدون سلفاً أنها لن تقتنع به.. إننا نفكّر اليوم في إيجاد قناة عبريّة لإيصال أفكارنا إلى اليهود.. تماماً كما يفكّر اليهود في إيجاد قناة عربية «موضوعيّة» لإيصال أفكارهم إلينا: هل هذا مفيد؟!

إنّ اللعبة المباشرة بيننا وبين إسرائيل يجب أن تكون لغة مقاومة ودفاع عن الحقوق.. أما تلك غير المباشرة فإنها يجب أن تكون مع المجتمع الدّولي، والرأي العام العالمي الذي يجب أن نُوصل إليه ما نقنعه به للوصول إلى دعمه..

إن مشكلتنا تكمن في كوننا ننظر إلى الإعلام كغاية.. وأنّ هذه الغاية تحصل حين يقتنع الآخرون (الغرب مثلاً) أننا ضحايا إجرام وهمجيّة وشوفينية و.. و.. و..

ثمّ ماذا؟

حينما يذهب مسؤول إسرائيلي إلى أمريكا أو الغرب فإنّه يرمي إلى تحضير الرّأي العام أو مصادر القرار هناك لضربنا والانقضاض علينا..

إنّ الإعلام الموجّه إلى الآخر يجب أن يكون وسيلة لإظهار عدالة قضيّتنا، فإذا ظهر ذلك للآخر واقتنع به وتعاطف معنا، فإننا يجب أن نخطو الخطوة الثانية، فنتحرّك على الميدان ونحرّك هذا الآخر انطلاقاً من تعاطفه ذاك... نحرّكه في التظاهر، في رفع قضيّة، في الضّغط، في.. في.. وفي.. وإلا فما أهمية أن يتفرّج العالم على طفل فلسطيني صغير يُقتل محتمياً بوالده، ما أهمية أن تبكي الأمهات تأثّراً بالمنظر.. ما أهمية أن يعرف الناس أنّ إسرائيل تقتل الأطفال والعُزّل؟!! ما قيمة أن يعرفوا أن هناك قوانين تعاقب على قتل الأطفال والعزّل.؟!!

إنّ صحفاً كثيرة وقنوات بالعشرات سارعت في الأيام الماضية إلى بيان أن العرب أيضاً ساميون.. ونُبش التاريخ واستُخرج سام، وحام، ويافث و.. و.. و.. فهل اقتنعت إسرائيل أننا ساميون.؟!!

إن إسرائيل تعرف فقط أننا عرب.. وأننا مسلمون.. وأننا لازلنا نقاوم من أجل حقوقنا وهذا كلّه كفيل بأن يخرجنا من دائرة السّامية..